

المكانة العلمية لقاضي قسنطينة ومفتي المالكية محمد المكي بن سعد
البوطالبي "1799 – 1865"

The scientific place of the judge of Constantine and the
Mufti of Malikiyah; Muhammad al-Makki bin Saad al-
Boutalbi 1799-1865

كح / د/ فارس كعوان *

جامعة محمد لمين دباغين سطيف

fares_kaouane@yahoo.fr

معلومات المقال/History of the article		
القبول للنشر/Published	المراجعة/Accepted	الإرسال/Received
2020/06/30	2020/03/22	2020/01/19

الملخص:

لا يزال الكثير من الأعلام الجزائريين بحاجة إلى دراسات جادة تميظ اللثام عن مختلف جوانب حياتهم. ولعل البحث في الوثائق والمخطوطات سيكشف لنا عن الجديد في سيرة هؤلاء الأعلام الذين قدموا للحياة الثقافية الكثير، في زمن لم تكن الظروف مواتية لنشر المعرفة العلمية. وإن أقل واجب تجاه هؤلاء الأعلام هو القيام بجمع معلومات متفرقة تخص حياتهم ونشاطهم العلمي، حتى يتمكن الباحثون منلقاء نظرة على جهودهم وتقييمها في ضوء ما قدموه. ومن بين الأعلام الذين ظهوروا في القرن التاسع عشر قاضي قسنطينة ومفتيها محمد المكي بن سعد البوطالبي 1799 – 1865 الذي كان طودا شامخا وعالما راسخا ترك بصماته في الحياة العلمية في مدينة قسنطينة وترك الشيخ المكي أثرا طيبا في نفوس أهالي قسنطينة وشهد له الجميع بالنبوغ، وكانت له مكانة مرموقة لدرجة أنه دفن داخل المدرسة الكتانية بجوار أضرحة أسرة صالح باي. وسنحاول في هذه الورقة تقديم نظرة عن حياة هذا العالم الذي يجهل الكثير من سيرته، ولم يصلنا شيء من مؤلفاته رغم أنه كان مدرسا بالكتانية وأجاز عددا من الطلبة الذين صاروا شيوخا معروفين فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: العلماء، القضاة، مفتي المالكية، البوطالبي، الإدارة الاستعمارية، قسنطينة.

* المؤلف المرسل/The author of the sender

Abstracter:

Many Algerian scholars still need serious studies that reveal various aspects of their lives. Perhaps a search in the documents and in the manuscripts will reveal to us what is new in the biography of these scholars, who gave a lot to cultural life, at a time when the conditions were not conducive to the dissemination of scientific knowledge. The least duty owed to these scientists is to collect separate information related to their life and their scientific activity, so that researchers can study their efforts and evaluate them in the light of what they have provided. Among the scholars who appeared in the 19th century was the judge of Constantine and his mufti, Muhammad al-Makki bin Saad al-Boutalbi, 1799-1865, who was a great scholar and who left his mark on the scientific life of the city. of Constantine, and Sheikh al-Makki left a good impact on the hearts of the inhabitants of Constantine and left several students, A place so prestigious that it was buried inside the school of kettania next to the shrines of Saleh Bey's family. In this article, we will try to give an overview of the life of this scientist, who is little known in his biography, and none of his books have been received, even if he was professor of merit and to teach a certain number of students who became known scholars later.

key words: The scholars, judges, Mufti of Al-Malikiyah, Al-Boutalbi, colonial administration, Constantine.

مقدمة:

فف بءاءة العهء الاسءعمارف هافر عءء كبفر من العلماء آارف الءزائر فراراف من البءش والءءكفل والقمع؁ ءوآه بعضهم للمغرب ءونس والبعض الآخر لأقطار المشرق؁ واآءار عءء قلفل من العلماء البقاء فف البلء لفاصلوا مهامهم العلمفة والءعلفمفة؁ ومن بفن هؤلاء الاعلام البارزفن الشفآ محمد المكف البوطالف الءف عرف فف عصره بـ "الإمام بحر العلوم" والءف رآم شهرءه فف ءلك الفءرة الا ان ما كءب عنه لا فعدو اشاراء مءناءرة هنا وهناك وهو ما دفعا لمآولة ءعرض لسفره فف هذا المقال.

أولاف ءءرفف بالشفآ المكف البوطالف

هو أبو محمد عبء الله السفء محمد المكف بن سعد البوطالف القسطنفنف مولءاف ونشأة؁ فءمفمف لأسرة أنآبء عءءاف من العلماء؁ فوالءه الشفآ سعد البوطالف كان معلما فف آبل بوطالب

جنوب سطيف في أواخر القرن 18م، قبل أن ينتقل إلى قسنطينة ويستقر بها نهائيا، وينجب ابنه محمد المكي بها¹، ولا نعرف من أسرته غير والده فالمصادر تسكت عن أسماء باقي أفرادها من العلماء². ولد محمد المكي البوطالي بمدينة قسنطينة سنة 1799³، وتلقى العلم على جملة من مشايخ عصره أبرزهم الشيخ عبد الملك الراشدي⁴ وهو ابن أخ شيخ الجماعة بقسنطينة وقاضيها عبد القادر بن محمد الراشدي⁵.

1- مناصبه

عمل الشيخ المكي بالتدريس والإمامة والقضاء والفتوى المالكية بقسنطينة إضافة إلى ترأسه لمجلس الشرع بمدينة قسنطينة وعضويته للمجلس الشرعي الأعلى بمدينة الجزائر.

2- التدريس

عمل الشيخ المكي في مجال التدريس منذ سنة 1815 م وكان عمره ستة عشر عاما فقط، وهذا يدل على تملكه من مختلف العلوم والمعارف بفضل تكوينه العلمي المتميز. وكان الباي الحاكم حينها " أي سنة 1815" هو الباي محمد تشاركر باي الذي حكم ما بين 1814 - 1818⁶.

3- القضاء المالكي

كان منصب القضاء من المناصب الهامة التي تجعل صاحبها قريبا من السلطة، كما أنها من المناصب التي تحتاج تكوينا علميا خاصا في الفقه، وقد تولى الشيخ المكي البوطالي القضاء المالكي في عهد الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة سنة 1834 حسبما ذكرته جريدة المبرش الرسمية⁷، ولكن يبدو أنه لم يستمر في منصبه طويلا حيث جاء في الرسالة التي أرسلها أعيان قسنطينة إلى السلطان العثماني في 21 ربيع الأول 1251هـ/ 17 جويلية 1835 أن القاضي المالكي بقسنطينة وهو أحد الموقعين على الرسالة كان: أبو العباس احمد بن السعيد⁸. ويبدو أن الشيخ المكي البوطالي قد عاد إلى وظيفته كقاض مالكي لأننا وجدنا ختمه في سجل الوفيات بالمحكمة المالكية بقسنطينة يحمل العبارة التالية: عبدك يا أحد يا حي يا قيوم وفي الوسط: محمد المكي بن سعد سنة 1253هـ/ 1837م⁹.

ومنه نستنتج أن الشيخ المكي البوطالي عمل في القضاء المالكي على فترتين في عهد الحاج أحمد باي الأولى من سنة 1834 حسبما ذكرت المبشر إلى سنة 1835 تاريخ تعيين قاض آخر والثانية سنة 1837 حسبما جاء في ختمه الرسمي، ثم عُزل بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة.

وبعد إعادة تنظيم أمور المدينة تم تعيين الشيخ المكي البوطالي قاضيا مالكيا وذلك بطلب من المارشال فالي، سنة 1848 كما قالت المبشر¹⁰، لكن يبدو أن ذلك هو التعيين الثاني للشيخ في عهد الاحتلال، فمن خلال إحدى المراسلات تبين لنا أن الشيخ المكي البوطالي تولى القضاء قبل سنة 1848 حيث وجدنا اسمه ضمن عريضة الشكوى التي حررها أهالي قسنطينة ضد تجاوزات حمودة لفقون حاكم البلد في 25 جوان سنة 1842، وجاء فيها اسمه على النحو التالي: "العلامة الفقيه الأجل النبيه السيد محمد المكي قاضي المالكية"¹¹.

ويقول الفرنسي كورا نائب رئيس الجمعية الاثرية بقسنطينة ان الشيخ المكي عين قاضيا مالكيا سنة 1848 وبقي في المنصب إلى غاية سنة 1853 ليخلفه بن الساسي صالح بن ساسي سنة 1853، ويبدو أن الشيخ المهدي شغيب قد أخذ عن كورا حرفيا دون تحليل وتمحيص، حيث ذكر نفس المعلومات، وكلاهما أخطأ في تسمية من خلفه في القضاء المالكي.

وقد استمر الشيخ المكي البوطالي يشغل منصب القاضي المالكي حتى عزلته السلطات الفرنسية بموجب قرار 30 ماي 1849 وعُيّن مكانه سيدي محمد بن الكيرد الباش عدل السابق بنفس المحكمة، وليس بن الساسي صالح بن ساسي كما جاء في عدد من المراجع. والملاحظ أن نفس القرار عزل فيه صديقه قاضي المحكمة الحنفية بقسنطينة الشيخ مصطفى بن محمد بن جلول وعين مكانه سيدي محمد بن المصري طالب كولوغ¹².

ويبدو أن قرار العزل جاء نتيجة موقفهما المؤيد للحاج أحمد باي وتعاطفهما معه عندما اقتيد من السلطات الفرنسية إلى قسنطينة، كما يبدو أن الأسماء التي خلفت كلا من الشيخ المكي البوطالي وصديقه الشيخ مصطفى بن جلول كانت أسماء غير معروفة ولا تنتمي لأسر علمية عريقة.

وإن كانت المصادر التي تحدثت عن العزل قد سكتت عن أسبابه إلا أنه يمكن أن يكون ذلك بسبب موقفهما الداعم للحاج أحمد باي عندما قررت السلطات الفرنسية إدخاله لمدينة قسنطينة بعد استسلامه في 05 يونيو 1848 لدى القائد الرائد دو سان جرمان. كتب الحاج أحمد باي عما حظي به من استقبال أعيان المدينة في مذكراته يقول: "وعندما اقتربنا من قسنطينة خرج أكابر المقاطعة لاستقبالي، ومما لا شك فيه أنهم أحسوا بالشعور الذي كان يغمري فأسرعوا للتخفيف مما يثقل كاهلي وذلك عندما جاؤوا بعدد من الفرسان توسطتهم ودخلت إلى المدينة..."¹³. ولم تفهم السلطات الفرنسية المحلية هذا الشعور وراحت تلقي القبض على من اظهروا تعاطفهم مع الباي الحاج أحمد، ويبدو أن قرار عزل البوطالي جاء ضمن قرارات انتقامية، حيث أن البوطالي قد سبق له العمل مع الباي قاضيا للمالكية ومُدْرَسًا في الكتانية¹⁴.

4- الفتوى

وصف الشيخ الكتاني في فهرس الفهارس الشيخ البوطالي بقوله: قاضي قسنطينة ومفتيها¹⁵ وقد تولى الشيخ مهمة الفتوى على المذهب المالكي، ولكننا لا نعلم متى كان ذلك بالضبط، فالحواليات التاريخية لا تذكر أبدا قائمة مضبوطة للمفتين، وان ذكروا وجدنا خللا يتعلق بالسنوات.

5- تلاميذه وإجازاته

لا شك أن ممارسة الشيخ البوطالي للتعليم لمدة طويلة قدرت بخمسين عاما قد أهلته ليكون شيخا لأجيال من المتعلمين الذين صار بعضهم علماء كبار، ولكن المصادر لا تذكر إلا قلة منهم وهم:

أ- مصطفى بن السادات القسنطيني

من الأعلام المغمورين الذين لم ينفذ الغبار عن حياتهم الشيخ مصطفى بن أحمد بن سادات القسنطيني، وهو من الجيل الجديد من العلماء الذين درسوا في العهد الفرنسي وتأثروا به ووصفه سعد الله بأنه "من دعاة التقدم وكتاب الصحافة خلال الستينات"¹⁶.

وكان بن السادات من كتاب المبشر ومن دعاة التعلم في المدارس الفرنسية وله مقاله بعنوان: "النصيحة الدرية في تأديب الذرية" نشرها بإيعاز من السلطات الفرنسية سنة 1866، ومضمون المقال ترغيب أهل المنطقة على إرسال أولادهم إلى المعهد الجديد أي المدرسة العربية الفرنسية وعدم الخوف من التعليم الفرنسي¹⁷. والشيخ مصطفى بن السادات القسنطيني هو الذي نسخ مخطوطا في سيرة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني¹⁸. أجاز الشيخ البوطالي مصطفى بن أحمد بن سادات القسنطيني إجازتين الأولى للبوني والثانية للثعالبي:

– إجازة البوني للورثاني

أخذها مصطفى بن أحمد بن سادات القسنطيني عن محمد المكي بن الشيخ سعد البوطالي مفتي قسنطينة وقاضيها عن السيد عبد الملك الراشدي عن عمه شيخ الجماعة بقسنطينة وقاضيها عبد القادر بن محمد الراشدي عن محمد بن عليّ الجعفري عن أحمد بن قاسم البوني عن أبيه عن أبي مهدي الثعالبي المذكور بأسانيده، وهو مع نزوله عال بتسلسله وعظم مقام معظم رجاله.

– إجازة كتاب كنز الرواة المجموع في درر المجاز وبواقيت المسموع للشيخ عيسى الثعالبي

أخذها مصطفى بن أحمد بن سادات القسنطيني عن محمد المكي بن سعد البوطالي عن عبد الملك الراشدي عن عمه عبد القادر بن محمد الراشدي عن محمد بن عليّ الجعفري عن أحمد بن قاسم البوني عن أبيه عن أبي مهدي الثعالبي المذكور بأسانيده، وهو مع نزوله عال بتسلسله وعظم مقام معظم رجاله¹⁹.

ب- محمد السعيد بن الموهوب

من بين تلاميذ الشيخ البوطالي نجد والد مفتي المالكية بقسنطينة الشيخ المولود بن الموهوب، وهو الشيخ محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن المسعود بن عبد الوهاب الذي ينتهي نسبه إلى الشيخ البركة سيدي الموهوب المدفون بيمولة. وقد ولد ببني بزاز قرب بابور وأخذ العلم عن عمه الشيخ الحاج إبراهيم أحد تلاميذ الشيخ عليش ومن عاصره في ذلك الوقت إذ

لازم الأول مدة 7 سنوات مثابرا على أخذ العلم وعاد لقسنطينة فأخذ عن حافظ وقته العالم الشيخ المكي البوطالي شيخ مدرسة قسنطينة ودفينها في حدود سنة 1270 هـ/ 1854 م 20. ثانيا/ موقفه من الاحتلال الفرنسي لقسنطينة

عند احتلال الفرنسيين لقسنطينة سنة 1837 كان الشيخ المكي البوطالي يبلغ من العمر 38 سنة، وكان يشغل حينها منصب القضاء المالكي في عهد الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، كما كان لا يزال مدرسا بالمدرسة الكتانية التي انخرط فيها منذ سنة 1815، ورغم أن المصادر لا تركز إلا على دور الحاج أحمد باي وبعض الأسر الشهيرة في عهده إلا أن هناك إشارات هامة يمكن استثمارها لتبيان موقف الشيخ البوطالي من الفرنسيين. يذكر آلان كريستلو أن المكي البوطالي كان من أعيان قسنطينة الذين ظهر اسمهم في عريضة أرسلها أعيان قسنطينة إلى السلطان العثماني في 16 سبتمبر 1835 وليس الشيخ المكي بن باديس، كما يعتقد البعض لأن المكي ابن باديس كان لا يزال فتيا آنذاك²¹.

ويبدو أن الشيخ المكي كان موقفه لا يختلف عن موقف أعيان قسنطينة فبعد سقوط قسنطينة سنة 1837 وتوجه الحاج أحمد باي إلى الأوراس، لم تعد في المدينة قيادة يجتمع حولها السكان، ورأى أعيان البلد أن أفضل طريقة هي حماية السكان من إبادة كاملة من جانب الجيش الفرنسي في حال استمرت المقاومة، لذا بدأت اللقاءات بين أعيان البلد وقادة الجيش الفرنسي وأسفرت المشاورات على إبقاء بعض أشكال النظام البايلكي القديم كالقضاء والفتوى وبعض المناصب التي لها علاقة بالتنظيمات الحرفية والأسواق²².

ثالثا/ تدريسه بالمدرسة الكتانية

من أبرز مشايخ المدرسة وأطولهم مدة في التدريس بها الشيخ أبو محمد عبد الله السيد محمد المكي بن سعد البوطالي، وكان الشيخ البوطالي يُلقب بالإمام بحر العلوم الزكي²³، وظل يمارس التدريس إلى جانب توليه القضاء والفتوى. وقد دامت مدة تدريس الشيخ البوطالي في المدرسة الكتانية خمسون سنة من سنة 1815 إلى وفاته سنة 1865، وهذا يدل على ثقة مُسيري المدرسة فيه وفي علمه²⁴.

والمعلوم أن تلك المدرسة تأسست في عهد صالح باي سنة 1776، واستمرت في العهد الفرنسي تؤدي دورها التعليمي بعد أن وضعت لها قوانين تنظيمية صارمة.

وفي 30 سبتمبر 1850 صدر قرار بإنشاء المدارس العربية الفرنسية بالجزائر، وأنشئت المدرسة العربية في قسنطينة في نفس مقر مدرسة صالح باي القديمة التي تراجع دورها طوال الفترة الممتدة ما بين 1837_ 1850 بسبب غياب الدعم والتخوّفات التي شابت تلك المرحلة. كلف الشيخ الشاذلي القسنطيني بإدارة المدرسة والإشراف على تسييرها في تلك المرحلة الحرجة فاختار لها من الأساتذة نخبة من الشيوخ الأعلام كان الشيخ المكي البوطالي واحدا منهم، وحدد له راتب قدر بـ 125 فرنك فرنسي²⁵.

رابعا/ عمله بالإمامة

جاء في سجل قايد البلاد بقسنطينة أنه في يوم 29 جويلية 1849 تم تعيين الشيخ المكي البوطالي في منصب باش إمام بالجامع الكبير براتب 200 فرنك في السنة²⁶. وفي الفاتح من يناير 1850 تم تعيينه في منصب شيخ الدرس بالجامع الكبير براتب قدره 300 فرنك في السنة²⁷.

خامسا/ عضويته بالمجلس الفقهي لمدينة الجزائر

بناء على مرسوم أكتوبر 1854 أصدر وزير الحرية الفرنسي في 27 ابريل 1855 قرارا بإنشاء المجلس الفقهي في الجزائر ليكون هو محكمة الاستئناف الاسلامية وقد ضم عناصر من بقايا العلماء المخضرمين كان من بينهم الشيخ المكي البوطالي والشيخ أحمد بن المبارك²⁸. وكان مقر المجلس الفقهي الجامع الكبير بالعاصمة وعقدت أول دوراته في 25 أوت 1855 وكانت صلاحيات هذا المجلس تنحصر في مراقبة سير المجالس المحلية المشابهة وقضايا محاكم القضاة في مختلف الدوائر.

ولم يكن الشيخ البوطالي يشغل منصب القاضي المالكي آنذاك حيث تولى ذلك المنصب الساسي بن محمد. ويبدو أن الشيخ المكي البوطالي كان يتأرض المجلس الفقهي المحلي بقسنطينة كما جاء في إحدى الرسائل التي سنشير لها فيما بعد.

لا تزودنا المصادر بشيء من أخبار عائلة الشيخ المكي البوطالي، وكل ما وجدناه معلومات متناثرة عن بعض أفراد عائلته، وقد ذكر هو في إحدى رسائله أنه كان يعيل عائلة كبيرة. ويظهر في أحد المصادر الفرنسية اسم عمار بن محمد البوطالي وهو أحد الملاك بقسنطينة سنة 1847³⁰. وفي سجل قايد البلاد ورد اسم شخص آخر من أفراد الأسرة وهو سي الطيب البوطالي الذي شغل منصب طالب السدة في جامع سيدي الكتاني وعُزل منه بموجب قرار 10 نوفمبر 1848 وعين مكانه سي العربي بن المداني³¹. ويبدو أن سي الطيب البوطالي قد عيّن في مكان آخر حسبما جاء في القرار، رغم أننا لاحظنا أن الراتب الذي كان يتقاضاه كان هزيبا لا يتعدى 28 فرنك في السنة، وهو راتب لا يليق بعالم كبير آنذاك.

وإضافة إلى هذا، هناك شخص ثالث ورد نعيه في جريدة النجاح في العدد الصادر يوم الجمعة 23 سبتمبر 1923 التي أوردت خبر وفاة أحد علماء وأعيان قسنطينة وقد يكون ابنا أو حفيدا للشيخ المكي وهو الشيخ علي البوطالي الذي توفي يوم الاثنين 19 سبتمبر 1923 بقسنطينة وجاء الخبر على النحو التالي: "يوم الاثنين استأثرت بِرَحْمَةِ اللَّهِ بِالْفاضل الخير السيد علي البوطالي من أعيان البلاد وسراهما وأقدم وكلاء الشرع الإسلامي بقسنطينة، وقد كان لنعيه تأثير كبير في البلاد والمرحوم كان خيرا نبيلاً ممن سلم الناس من يده ولسانه ذا أخلاق سامية وسجايا مرضية يعترف بذلك كل من عرفه ومارس أخلاقه الزكية وفي خلال مدة تعاطيه الوكالة الشرعية وهي 45 سنة لم يسمع منه إلا خيراً، ولم تر منه إلا سيرة حميدة..."³². ومن خلال مدة عمله في القضاء وهي 45 سنة نستنتج أنه دخل الميدان منذ حوالي سنة 1878.

سابعا/ صلته بالشخصيات الوطنية والفرنسية

1- صلته بالشيخ مصطفى بن جلول القسنطيني

كان للشيخ المكي البوطالي صلة صداقة وطيدة بالشيخ مصطفى بن جلول القسنطيني، والغريب أننا وجدناهما توفيا في فترة متقاربة. ولد الشيخ مصطفى بن محمد بن عباس بن علي بن عبد الجليل المعروف بابن جلول³³ بقسنطينة سنة 1768³⁴ وتلقى تعليمه ببلده في زاوية العائلة

التي تعرف بزواوية الزواوي³⁵، ودرس على عمه الفقيه أبي العباس أحمد بن عباس بن علي بن عبد الجليل الذي توفي بقسنطينة في 21 صفر سنة 1201هـ/ 1786" ³⁶ كما تلقى العلم على جملة من مشايخ العلم بقسنطينة.

تولى مصطفى بن جلول منصب باش كاتب لدى الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة³⁷ وفي عهد الاحتلال الفرنسي تولى القضاء الحنفي بالمدينة سنة 1265هـ/ 1848 وظل فيه إلى غاية سنة 1273هـ/ 1856³⁸، وفي 19 نوفمبر 1849م عُيّن إماما بزواوية رضوان براتب قدره 200 فرنك، وفي 01 يناير 1850 تم تجديد إقراره كمدرس بجامع سيدي لخضر براتب قدره 200 فرنك، وهي وظيفة كان يمارسها شرفيا مع وظيفته كقاضي حنفي³⁹.

شارك مصطفى بن جلول في عدد من أحداث عصره، فقد وجدناه يقوم بتحرير رسالة إلى السلطات الفرنسية هي عبارة عن شكوى بعثها أعيان قسنطينة ضد حمودة بن الشيخ الفكون الذي عينته الإدارة الفرنسية حاكما على المدينة⁴⁰، كما وجدناه من بين الموقعين على رسالة تحنته بعثها أعيان قسنطينة سنة 1856 في الذكرى الأولى لتولي نابوليون الثالث منصب إمبراطور فرنسا⁴¹، وتوفي الشيخ مصطفى بن جلول في حريف عام 1864 عن عمر يناهز 96 سنة، ودفن بقسنطينة بمقبرة عائلته⁴². ويتشابه مسار الشيخ مصطفى بن جلول مع مسار صديقه الشيخ المكي البوطالي في عدد من النقاط منها أنهما عالمان مخضرمان عاشا قسما من حياتهما في العهد العثماني والآخر في العهد الفرنسي وعرفا بمختلف التقلبات، وتولى كلاهما منصب القضاء، وبعض المناصب الإدارية، وشاركا في بعض الأحداث وعبرا عن رأيهما من خلال بعض العرائض، والغريب أنهما توفي في نفس الفترة تقريبا، فالشيخ بن جلول توفي سنة 1864 وأما الشيخ البوطالي فتوفي بعده بسنة أي سنة 1865.

2- صلته بالمستعرب الفرنسي شيربونو

أشار أبو القاسم سعد الله إلى صلة المستعرب الفرنسي المعروف أوغست شيربونو بالشيخ المكي البوطالي، وقال أن شيربونو استطاع أن ينسج شبكة علاقات مع مختلف الأسر العلمية ورجال التصوف بالمدينة، واستطاع حتى أن ينشر بينهم اللغة الفرنسية⁴³.

3- صلته ببواسوني

كان الضابط ببواسوني مديرا للمكتب العربي بقسنطينة ومسؤولا عن تعيين القادة الأهالي في مناصب القضاء والإمامة، ويذكر سعد الله أنه هو من سعى في تعيين الشيخ المكي البوطالي في بعض مناصبه التي ذكرناها، ورغم أن ذلك يمكن أن يكون قد وقع بالفعل إلا أننا لا نملك في المصادر إشارة إلى هذا فيما عدا ما ذكره سعد الله⁴⁴.

ثامنا/ تدهور وضعيته المادية ومكاتبته للسلطات الفرنسية للحصول على تقاعد

عثرنا على رسالة نادرة نشرها ماشوال في كتابه دليل المستعرب ص 34 ورغم ان اسم المكي البوطالي لم يرد صراحة فيها إلا أن المعلومات الواردة فيها كلها تنطبق عليه، وهي رسالة تكشف عن الوضع البائس الذي آل إليه الشيخ المكي البوطالي أواخر حياته، وتاريخ الرسالة يمكن أن نحدده بين سنتي 1856-1865. جاء في الرسالة ما يلي: "إلى السيد وكيل الدولة ببلد قسنطينة اعزه الله أمين السلام التام وبعد فالذي انهيه لسيادتكم أنني رجل كبير السن ولي عيلة كثيرة وكنت خدمت في وظائف الشريعة عدلا وباش عدل ومفتيا وكبير مجلس وقاضيا مدة طويلة تزيد على الثلاثين سنة وليس الآن بيدي إلا وظيف الدرس بالجامع الأعظم ومرتبته لا يكفيني لمصروف عيلتي وبحسب ذلك ها أنا اطلب منك أن تنعم علي بإعطاء أنظريط لي كما فعلتم مع بعض الناس الذين كانوا يخدمون في الشريعة مثلي لاستعين بذلك على أمر معيشتي والسلام"⁴⁵.

ويتضح من هذه الرسالة أن الشيخ المكي البوطالي قد بلغ به الحال مبلغا عظيما بسبب كونه مسؤولا عن أسرة كبيرة يعيلها ولا مدخول له سوى راتبه كمدرس في الجامع الأعظم، والمعروف أنه كان يتقاضى راتبها لا يتعدى.

تاسعا/ وفاته

توفي الشيخ المكي البوطالي حسبما جاء في شاهد قبره داخل المدرسة الكتانية التي دفن في ساحتها قرب ضريح صالح باي العبارة التالية: "هذا ضريح الإمام بحر العلوم الزكي أبو طالي نجل سعد محمد المكي" وقد توفي في شهر شوال 1281هـ/1865، وترك الشيخ المكي أثرا طيبا

في نفوس أهالي قسنطينة، وكانت له مكانة مرموقة لدرجة أنه دفن داخل المدرسة الكتانية بجوار أضرحة أسرة صالح باي. وأورد الضابط الفرنسي فيرو مقوله راجت بين أهالي قسنطينة بعد وفاة العالمين المكي البوطالي ومصطفى بن جلول جاء فيها: " إن العلم عند المسلمين [يقصد أهالي الجزائر] انطفاً مع سي مصطفى بن جلول وسي المكي البوطالي " ⁴⁶. كما وصفه الشيخ كحول في تقويمه بـ: "حافظ وقته العالم الشيخ المكي البوطالي شيخ مدرسة قسنطينة ودفينها" ⁴⁷. ووصف شيخ المؤرخين المرحوم سعد الله القاضي المكي البوطالي بقوله: "اسم له وزن علمي على رغم الظروف السيئة" ⁴⁸.

خاتمة:

في ختام هذا المقال الذي أردنا فيه جمع ما أمكننا جمعه من سيرة احد أعلام قسنطينة في القرن التاسع عشر وهو الشيخ محمد المكي بن سعد البوطالي نخلص إلى النتائج التالية:

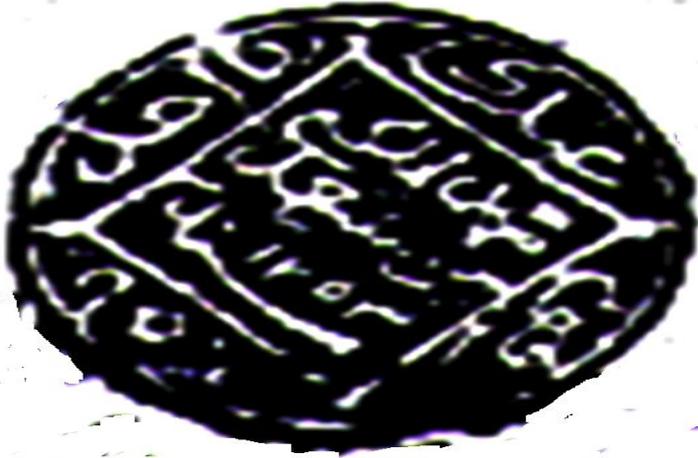
رغم الظروف التي رافقت الاحتلال الفرنسي الا انه قد ظهر في تلك الفترة الحرجة جملة من الأعلام استفادوا ممن تبقى من شيوخ العلم واستفادوا أيضا من المدارس الفرنسية.

ينتمي الشيخ محمد المكي البوطالي إلى الجيل المخضرم الذي عاصر العهدين العثماني والفرنسي، وهو جيل متمسك بالتقاليد القديمة رغم انخراطه في العمل لدى إدارة الاحتلال.

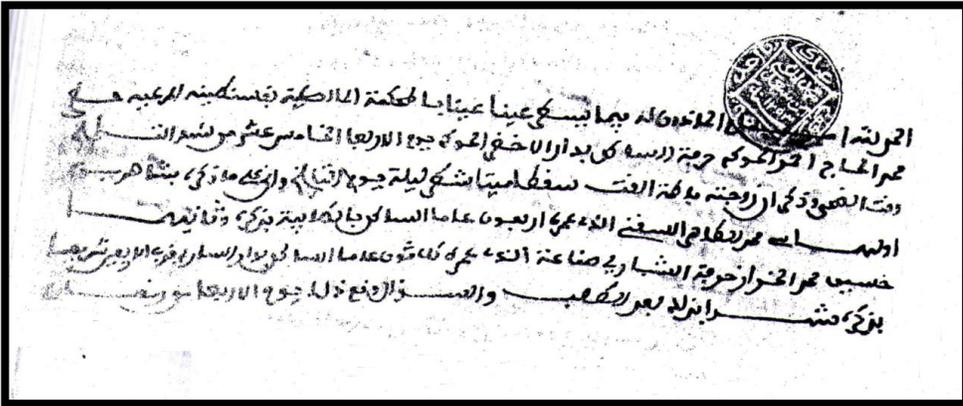
تمتع الشيخ المكي البوطالي بمكانة مرموقة في مدينة قسنطينة رغم أنه كان من أسرة وافدة على المدينة وهذا يؤكد علو منزلته العلمية. مارس الشيخ البوطالي مهام متعددة كالتدريس والفتوى والقضاء واثبت جدارته في كل المهام التي أسندت له.

عاصر الشيخ البوطالي كل التحولات التي عرفتها مدينة قسنطينة بعد الاحتلال وكان مساره العلمي والوظيفي انعكاسا واضحا لتلك التحولات فهو قد عين من جانب الفرنسيين في بعض المناصب ثم عزل نتيجة موافقه، ثم أعيد مرة أخرى للاستفادة من خبرته في العهد الجديد، ونال احترام الناس والسلطات على حد سواء. رغم شح المعلومات حول هذه الشخصية العلمية المتميزة إلا أن شهرتها العلمية في عصرها وتميزها جعلنا نفرد لها ترجمة متواضعة من خلال إشارات متناثرة في عدد من المصادر المعاصرة.

ختم القاضي المالكي بقسنطينة سنة 1837 الشيخ المكي البوطالي



صفحة من دفتر وفيات المحكمة المالكية بقسنطينة وفيها ختم القاضي المكي البوطالي:



الهوامش:

1- إبراهيم لونيبي: بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 79.

2- ذكر غوستاف ميرسيي أن أسرة البوطالي ظهر فيها عدد من العلماء كان على رأسهم الشيخ المكي لكنه للأسف لم يذكر لنا أي اسم منهم، أنظر:

- Gustave Mercier : *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algerie*, III département de Constantine, Paris, Ernest Leroux, 1902, p 80.

3- حسبما ذكر الضابط الفرنسي فيرو في مقال له، أنظر:

- Feraud : *La Prise d'Alger raconté par un algérien*, in R.S.A.C 1865, p 68.

4- ذكر الكتاني أنه أجازته إجازتين سنذكرهما لاحقاً.

5- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: *فهرس الفهارس والأثبات*، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 239.

6- أنظر سيرته عند: فايسات: *تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية*، ترجمة: أحمد سيساوي، مراجعة هارون حمادو، كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2019، ص ص 236-254.

7- إبراهيم لونيسي: المرجع السابق، ص 79.

8- جمال قنان: *نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 85.

9- سجل الوفيات للمحكمة المالكية بقسنطينة لسنة 1256هـ / 1840م، صورة مصورة، مطبوعات ولاية قسنطينة، دون تاريخ، ص 45.

10- إبراهيم لونيسي: المرجع السابق، ص 79.

11- جمال قنان: المرجع السابق، ص 85.

12- *Bulletin officiel des actes de gouvernement*, t 9, 1849, alger 1850, p 52.

13- أحمد باي: *المذكرات*، تعريب: محمد العربي الزيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 99-100.

14- المصدر نفسه، ص 101.

15- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: المصدر السابق، ص 239.

16- أبو القاسم سعد الله: *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج3، ط9، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 129.

17- المصدر نفسه، ج3، ص 410_411.

18- مصطفى بن السادات القسنطيني: *سيرة الملياني*، مخطوط بزواوية المامل، نسخة خاصة مصورة منه.

19- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: المصدر السابق، سبق ذكره، ص 502.

21- آلان كريستيلو: "المكي بن باديس وبعض نواحي الحركة الوطنية الجزائرية في القرن التاسع عشر"، مجلة *الثقافة*، ع/61، جانفي فيفري 1981، ص 42.

22- أحمد سيساوي: "المارشال فالي ومشروع الإدارة الأهلية في قسنطينة بقيادة حمودة بن لفقون"، مجلة *العلوم الإنسانية*، جامعة قسنطينة، ع/39، جوان 2013، ص 236.

- 23- Gustave Mercier : **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algerie**, TII département de Constantine, Paris, Ernest Leroux 1902, p 80.
- 24- Feraud : **La Prise d'Alger raconté par un algérien**, in R.S.A.C 1865, p 68.
- 25- محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص 253.
- 26- Cherif Megnaoua: **Le registre du Caid el Bled de Constantine**, in recueil de Constantine , 1929 , p 22.
- 27- Ibid, p 27.
- 28- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 4، ص 440.
- 29- المرجع نفسه، ص 440-441.
- 30- Bulletin des lois du royaume de France, Paris, imprimerie royale, juillet 1847, p 634.
- 31- Cherif Megnaoua: Op.cit, p 14.
- 32- جريدة النجاح، قسنطينة، يوم الجمعة 23 سبتمبر 1923، ص 02.
- 33- كما ذكر هو للمستشرق الفرنسي شيربونو، أنظر:
- Cherbonneau : **Inscription arabe de la province de Constantine**, in R.S.A.C -1856-1857 , p121.
- 34- Feraud : Op.cit, p 68.
- 35- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 5، ص 123.
- 36- Cherbonneau : Op.cit, p121.
- 37- Feraud : Op.cit, p 68.
- 38- محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 331.
- 39- Megnaoua,C : **Le registre du Caid el Bled de Constantine** , p 27.
- 40- جمال فنان: نصوص سياسية، ص 101.
- 41- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، قسم 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 391.
- 42- Feraud : Op.cit, p68.
- 43- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج 6، ص 21.
- 44- أبو القاسم سعد الله: **محمد الشاذلي القسنطيني "1877-1807"** دراسة من خلال رسائله وشعره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 35-36.

45- Machuel: **Manuel de l'arabisant, ou recueil de pièces arabes**, Alger ,A.Jourdan libraire editeur,1877, p 34-35.

46- Feraud : **La Prise d'Alger raconté par un algérien**, in R.S.A.C 1865, p 68.

47- محمود كحول: المصدر السابق، ص 177 – 178.

48- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج3، ص 126_127.